أحاديث فى مشاهد الإسراء والمعراج

فطرة الإسلام

جاء فى صحيح مسلم فى حديث الإسراء والمعراج: «**ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة**».

***

من مشاهد الإسراء والمعراج أنه عقب صلاة ركعتين فى بيت المقدس أتى جبريل الأمين بإناءين فى أحدهما خمر وفى الآخر لبن، وعرضهما على رسول الله ﷺ فاختار الصادق الأمين إناء اللبن وشرب منه، فكان ذلك إيماء ورمزًا إلى الفطرة السوية التى استقام عليها رسول الله ﷺ وتستقيم عليها أمة الإسلام، استمساكًا بالقرآن واعتصامًا بحبل الله المتين.

وقد تكرر هذا الموقف عند البيت المعمور فى السماء السابعة حين أتى بإناءين، أحدهما خمر والآخر لبن، وعرضا على رسول الله ﷺ فاختار اللبن، فقيل له: أصبت، أصاب الله بك، أمتك على الفطرة.

والمعنى أصبت الفطرة وأراد الله بك الخير والفضل، ومعنى قوله «أمتك على الفطرة» أن أمة الإسلام تبع لرسولها ﷺ تكون على فطرة التوحيد والطهر والنقاء والعفاف والشرف وكرائم الأخلاق.

والإشارة بالخمر واللبن لها دلالتها، فالخمر أم الخبائث فإذا لجأ إليها إنسان وأدمنها ألف كل شر وارتكب كل منكر وهانت عليه كل قيمة وضاع منه كل شرف.

واللبن سائغ للشاربين، سهل، طيب، طاهر، غذاء كامل.. وقد ضرب الله تعالى العبرة فى اللبن وجعله آية من آيات الله تستحق التأمل والتعمق والبحث فقال:

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة النحل : آية (٦٦).

قال الإمام الزمخشرى فى تفسير هـذه الآيـة: أى يخلـق الله اللـبن وسيطًا بـين الفـرث (أى الروث) والدم يكتنفانه، وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغى أحدهما عليـه بلـون ولا طعـم ولا رائحه بل هو خالص من ذلك كله، قيـل إذا أكلـت البهيمـة العلـف فاستقر فـى كرشـها طبخته، فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنًا وأعلاه دمًا، والكبد مسلطة علـى هـذه الأصنـاف الثلاثـة تقسمها فتُجرى الدم فى العـروق واللـبن فـى الضـروع وتُبقـى الفـرث فـى الكـرش فسـبحان الله ما أعظم قدرته وألطف حكمته لمن تفكر وتأمل.

هذا وقد ضرب باللبن المثل فى الدين والعلم حتى إن من رأى رؤيا فيها لـبن فقـد رأى خـيرًا عظيمًا، وفى صحيح الحديث قال رسول الله ﷺ «**بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن فشـربت منـه حتى إنى لأرى الرى يخرج من أظفارى ثم أعطيت فضلى عمر، قـالوا: فمـا أولتـه يـا رسـول** الله؟ قال: **العلم**» فالرسول فسر اللبن بالعلم فى كثرة الانتفاع بهما..

***

لقاء الأنبياء فى السموات العلا

جاء فى الصحيح أن النبى ﷺ ليلة الإسراء والمعراج وجد آدم فى السماء الأولى، وعيسى ويحيى فى السماء الثانية، ويوسف فى السماء الثالثة، وإدريس فى السماء الرابعة، وهارون فى السماء الخامسة، وموسى فى السماء السادسة، وإبراهيم فى السماء السابعة مستندًا إلى البيت المعمور، وكلهم رحبوا بسيدنا محمد ﷺ ودعوا له بخير وقالوا له: مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح إلا آدم وإبراهيم عليهما السلام فقالا له: مرحبًا بالابن الصالح والنبى الصالح..

التعبير بالصلاح لأنه كلمة جامعة تشمل صفات الخير كلها، والصالح هو من يقوم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق العباد.

والحكمة فى لقاء هذه الكوكبة من الأنبياء عليهم السلام فى هذه المراتب ما ذكره الإمام ابن حجر نقلاً عن الإمام السهيلى من أنه إشارة إلى ما سيقع لسيدنا محمد ﷺ مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم:

فأما آدم عليه السلام فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة إلى الأرض بما سيقع للنبى ﷺ من الهجرة إلى المدينة، والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة فراق ما ألفه من الوطن، ثم كان مآل كل منهما أن يرجع إلى موطنه الذى أخرج منه.

وأما عيسى ويحيى فوقع التنبيه بهما على ما وقع لسيدنا محمد ﷺ من عداوة اليهود وتماديهم فى البغى عليه وإرادتهم وصول السوء إليه. .

ووقع التنبيه بيوسف عليه السلام على ما وقع لسيدنا محمد ﷺ من إخوانه من قريش فى نصبهم الحرب له وإرادتهم هلاك دعوته وكانت العاقبة للإسلام والمسلمين.. وقد أشار النبى ﷺ إلى ذلك بقوله لقريش يوم الفتح: «**أقول لكم كما قال يوسف لا تثريب عليكم**».

ووقع التنبيه بإدريس على رفيع منزلته عند الله، ووقع التنبيه بهارون على أن قومه رجعوا إلى محبته بعد أن آذوه، ووقع التنبيه بموسى على صبره على قومه وقد أشار النبى ﷺ إلى ذلك بقوله: «**لقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر**»، ووقع التنبيه بإبراهيم فى استناده إلى البيت المعمور بما ختم لسيدنا محمد ﷺ فى آخر عمره من إقامة منسك الحج وتعظيم البيت. .

وذكر فى مناسبة لقاء إبراهيم فى السماء السابعة معنى لطيف آخر وهو ما اتُفق له ﷺ من دخوله مكة فى السنة السابعة وطوافه بالبيت فى عمرة القضاء. .

أوصاف الأنبياء

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**عرض علىَّ الأنبياء فإذا موسى ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى ابن مريم عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شبهًا عروة بن مسعود، ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه فإذا أقرب من رأيت به شبهًا صاحبكم يعنى نفسه، ورأيت جبريل عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شبهًا دحية**».

***

من الآيات التى رآها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج - أن الله تعالى عرض عليه وصف بعض الأنبياء ورآهم فى تصوير إلهى يجمع الحاضر بالماضى ويربط الحاضر بالمستقبل بقدرة إلهية مبدعة، لا تخضع لنواميس الحياة الدنيا ولا تقاس بقدرات العقل البشرى.

فكان موسى بن عمران عليه السلام نوعًا من الرجال كأنه من رجال شنوءة، وهى قبيلة معروفة بين العرب، سموا بذلك لأنهم تشانئوا وتباعدوا وتقززوا من الأدناس والرذائل، وجاء فى رواية أخرى: «**موسى آدم طوال**» **أى أسود اللون طويل القامة**. .

وكان عيسى ابن مريم عليه السلام جعدا مربوعا، وفى رواية: «**مربوع الخلق، إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس**»، وفى رواية: «**كأنما خرج من ديماس**».

والمعنى أن عيسى عليه السلام جعد أى رجل مكتنز الجسم أو شعره بين الخشن والمسترسل، وهو مربوع أى ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الشائن، ولونه يجمع بين الحمرة والبياض، وهو فى نضارته وصفاء لونه وجماله كأنه خرج لفوره من مغتسل وحمام، وقد شبه رسول الله ﷺ ثلاثة بثلاثة:

فعروة بن مسعود يشبه عيسى ابن مريم.

ومحمد ﷺ يشبه إبراهيم الخليل. .

ودحية بن خليفة الكلبى كان يتشكل على صورته جبريل الأمين عليه السلام.

ومن المعلوم شرعًا أن للملك قدرة على التشكل بصور مختلفة وكذلك للجنى، والفرق بينهما أن الملك يتشكل بالصورة الحسنة فقط ولا تحكم عليه الصورة أما الجن فيتشكل بالحسن والقبيح

وتحكم عليه الصورة، فلو تشكل جنى بصورة قطة فجاءتها ضربة قاضية فماتت القطة يموت الجنى الذى تشكل بها.

وكان جبريل عليه السلام يتشكل فى صور بشرية متعددة منها صورة الأعرابى البهى الطلعة فى الحديث المشهور: «**بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر..**» إلخ.

ومنها صورة دحية الكلبى وهو أحد الصحابة الذين شهدوا أحدًا وما بعدها وأعطى شطرًا كبيرًا من الحسن، حتى قيل إنه كان يمشى متلثمًا يستر وجهه متحرجًا من فتنة النساء به.

***

سدرة المنتهى

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن مُرّة عن عبد الله قال: «**لما أسرى برسول الله ﷺ انتُهى به إلى سدرة المنتهى، وهى فى السماء السادسة، إليها ينتهى ما يُعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهى ما يُهبط به من فوقها فيقبض منها، قال: إذ يغشى السدرة ما يغشى، قال فَراش من ذهب، قال فأعطى رسول الله ﷺ ثلاثًا، أعطى الصلوات الخمس، وأعطى خواتيم سورة البقرة، وغفُر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئًا المقْحِمَاتُ**».

***

سدرة المنتهى أو السدرة المنتهى سميت بذلك لكونها ينتهى إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها، ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ . .

ووصفت هنا بأنها فى السماء السادسة وجاء فى روايات أخرى أنها فوق السماء السابعة ويمكن الجمع بينهما بأن يكون أصلها فى السماء السادسة وتمتد ظلالها لتشمل السموات السبع والجنة. .

وفُسر قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾[1]، فى هذا الحديث بقوله: «**فراش من ذهب**» أى طيور من ذهب.

وجاء فى حديث آخر وصف لسدرة المنتهى فقال: «**وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها**».

لقد حظى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج بمناجاة علوية قدسية، ناجى فيها المصطفى الكريم ربه تبارك وتقدس.. وتخيل – أيها القارئ الكريم – حديثا مع الله، هو الصدق كله، والصفاء كله، والنور كله.. وتتقاصر الكلمات عن وصف هذه المناجاة ونكتفى بما يقربها وهو النص الصحيح كما ورد عن المعصوم ﷺ، وقد أعطى رسول الله ﷺ خلال هذه المناجاة القدسية ثلاث عطايا هى:

---

(١) سورة النجم : آية (١٦).

١ – الصلوات الخمس فى الفعل والخمسون فى الأجر والثواب.

٢ – خواتيم سورة البقرة وهى قوله تعالى:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[1].

وفى مسند الإمام أحمد حديث شريف: «أعطيت خواتم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبى قبلى».

٣ – لا يخلد مؤمن من النار، والمُقْحمات هى الكبائر التى تقحم صاحبها فى النار لكنه لا يخلد وإنما يعذب بقدر معصيته ثم ينقل إلى الجنة ويفوز بالخلود فيها. . وهذا من رحمة الله تعالى بأمة محمد ﷺ تصديقًا لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾[2].

***

(١) سورة البقرة : الآيتان (٢٨٥ – ٢٨٦).

(٢) سورة النساء : آية (١١٦).

أنهار الجنة

جاء فى صحيح مسلم أن نبى الله ﷺ: «**حدث أنه رأى أربعة أنهار يخرج من أصلها نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت: يا جبريل ما هذه الأنهار قال: أما النهران الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات**».

***

الماء من أجل نعم الله تعالى على عباده فى الدنيا والآخرة، وقد امتن الله علينا بالماء المبارك الذى ينزل مطرًا من السماء فيمكث فى الأرض وينتفع به العباد.. قال الله تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[1].

وحكى القرآن المجيد أن الكافر يوم القيامة يتمنى شربة ماء لا تتحقق له ولا ينالها جزاء كفره.. فقال:

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[2].

فالماء أرخص موجود وأعز مفقود، فإذا وجد الماء كان رخيصًا يتساهل الناس فيه وإذا فقد الماء كان أغلى شىء وأعزه.

---

(١) سورة المؤمنون : الآيتان (١٨ – ١٩).

(٢) سورة الأعراف : الآيتان (٥٠ – ٥١).

وأول نعمة امتن الله بها على عباده فى أنهار الجنة نهر الماء فقدمه على اللبن والخمر والعسل فقال:

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ (١).

والحديث الذى معنا يدل على بركة ماء النيل والفرات وشدة العذوبة فيهما تشبيهًا لهما بأنهار الجنة. .

وما ورد فى الأحاديث من أن النبى ﷺ رأى هذين النهرين النيل والفرات عند سدرة المنتهى أو فى السماء الدنيا أو يخرجان من أصل الجنة محمول على المجاز والتشبيه.. وقيل على الحقيقة فهما يخرجان من أصل السدرة أو الجنة ثم يسيران حيث يشاء الله ثم ينزلان مطرًا ثم يستقران فى الأرض ثم يسيران سيرهما المعروف.

وفى ذكر النيل والفرات حينئذ ليلة الإسراء والمعراج وقت الشدة التى كان فيها المسلمون خلال عهدهم المكى - بشرى إلهية بأن الإسلام سيدخل مصر والعراق، ومنهما ينتشر إلى آفاق الدنيا لتردد كلمة التوحيد فى قلبها وعلى لسانها: «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

أما النهران الباطنان فقيل إنهما السلسبيل والكوثر، وهما فى الملأ الأعلى. .

وأما حديث مسلم بلفظ «سيحان وجيحان والنيل والفرات من أنهار الجنة» فالمراد به الأنهار الأرضية التى لها صلة بالجنة. .

***

(١) سورة محمد : آية (١٥).

نور الله تعالى

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى ذر قال: «**سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: نور أنى أراه**».

***

تكلم الناس كثيرًا عن رؤية الله تعالى فى الدنيا، والذى عليه أهل الحق أن الله تعالى لا يُرى فى الدنيا من أحد من البشر، ولم تقع رؤيته سبحانه لأحد من الأنبياء على وجه الإطلاق، وعندما سأل موسى الكليم الرؤية منع منها، قال الله تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾[1].

ويسأل أبو ذر ﷺ رسول الله ﷺ : «**هل رأيت ربك؟**» يعنى ليلة الإسراء والمعراج فيأتى الجواب الشافى الكافى «**نور أنى أراه**».

والضمير فى قوله «أراه» يعود إلى الله تعالى، والمعنى أن النور منعنى من رؤية الله تعالى، كما جرت العادة بإغشاء الأنوار للأبصار ومنعها من إدراك الأشياء..

والله تعالى ليس نورًا بالمعنى المادى، فكل ما طرأ ببالك فالله بخلاف ذلك ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾[2]، ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾[3].

وإنما جاء قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾[4]، بمعنى أنه سبحانه منورهما وخالقهما، وهادى أهلهما ومنور قلوب عباده المؤمنين.

وقد سأل أحد التابعين أبا ذر فقال: لو رأيت رسول الله لسألته، فقال أبو ذر: عن أى شىء كنت تسأله؟ قال: كنت أسأله هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر: قد سألت فقال: رأيت نورًا».

---

(١) سورة الأعراف: آية (١٤٣).

(٢) سورة الشورى: آية (١١).

(٣) سورة الإخلاص: آية (٤).

(٤) سورة النور: آية (٣٥).

وهذا النور هو الحجاب المانع من الرؤية كما جاء فى رواية عن أبى موسى قال: «**قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغى له أن ينام، يخفض القسط (الميزان) ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور**».

وفى توضيح تام لهذه القضية نسوق هذا الحوار مع أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها والذى رواه مسلم عن أحد التابعين يسمى مسروقًا قال: قالت عائشة: ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية قلت: يا أم المؤمنين أنظرينى ولا تعجلى ألم يقل الله عز وجل «ولقد رآه بالأفق المبين» «ولقد رآه نزلة أخرى» فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء، سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض، ثم قالت: أو لم تسمع أن الله يقول:

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[1].

أو لم تسمع أن الله يقول:

﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾[2].

ثم قالت: ومن زعم أن رسول الله كتم شيئًا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[3]، قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون فى غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[4].

وجاءت روايات عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ رأى ربه، واختلفت هذه الروايات فى آلة الرؤية، فقيل إنه رآه بعينه، وقيل إنه رآه بقلبه وفؤاده..

ولكننا نرجح رأى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فهو الذى تؤيده النصوص الشرعية.

---

(١) سورة الأنعام: آية (١٠٣).

(٢) سورة الشورى: آية (٥١).

(٣) سورة المائدة: آية (٦٧).

(٤) سورة النمل: آية (٦٥).

فرض الصلاة

جاء فى صحيح مسلم من رواية ثابت البنانى عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**فأوحى الله إلىّ ما أوحى ففرض علىّ خمسين صلاة فى كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى عليه السلام فقال: ما فرض ربك على أمتك، قلت: خمسين صلاة قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربى فقلت: يا رب خفف على أمتى، فحط عنى خمسًا، فرجعت إلى موسى فقلت حط عنى خمسًا قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف قال: فلم أزل أرجع بين ربى تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر فذلك خمسون، ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتب له عشرًا ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا فإن عملها كتبت سيئة واحدة قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله ﷺ : فقلت: قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه**».

***

فرضت الصلاة ليلة الإسراء والمعراج فى هذه المناجاة العلوية الروحية القدسية تأكيدًا لأهمية الصلاة فى حياة المسلم فهى الفريضة الوحيدة المتكررة يوميًا خمس مرات، والحديث الذى معنا يفيد أن تخفيف الصلاة أثناء المراجعات بين موسى عليه السلام وربه عز وجل كان خمسًا خمسًا، وفى رواية قال: «**فراجعت ربى فوضع شطرها**»، وفى رواية: «**فوضع عنه عشر صلوات**»، ولعل الرواية التى فيها التخفيف خمسا هى الأصل وباقى الروايات اختصرت وأوجزت المراجعات..

ولعل اختصاص موسى عليه السلام بالمراجعة فى أمر الصلاة باعتباره صاحب الشريعة السابقة. فإن التوراة هى الأصل الذى توارد عليه أنبياء بنى إسرائيل حتى جاء عيسى عليه السلام فكان على شريعة التوراة إلا فى بعض أحكام يسيرة، قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام:

﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾[1].

وقد تفطنت الجن لهذا المعنى عندما سمعوا القرآن وقالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾[2]، فلم يقولوا من بعد عيسى.

ومن جهة أخرى فإن موسى عليه السلام هو كليم الله وصاحب المناجاة في الوادى المقدس طوى وشأن أصحاب المقامات المتشابهة أن يتلاقوا.

وقد وهم بعض الباحثين فظن أن فى المراجعة مع موسى هيمنة على رسالة الإسلام وأن فى تخفيف الصلاة من خمسين إلى خمس تراجعًا فى الحكم، وهذا خطأ فى الفكر وضلال فى التفكير فإن الرسالات كلها إنما هى تشريع الله وحده ولا أحد من الرسل يملك من الأمر شيئًا، وما حدث إنما هو تأكيد لرحمة الله تعالى بعباده وبيان لفضل الله فى ثوابه وإظهار لكرامة من يشاء من عباده..

وننبه القارئ الكريم إلى أن الصلاة فريضة مكتوبة فى رسالات الله إلى البشر فى كل زمان ومكان، وأن المسلمين كانوا يصلون من مبدأ الدعوة الإسلامية فى مكة صلاة بالغداة وصلاة بالعشى، ويشهد لذلك قول الله تعالى:

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾[3].

أما فرضية الصلاة ليلة الإسراء والمعراج فالمراد بها الصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها المعروفة اليوم..

***

(١) سورة آل عمران: آية (٥٠).

(٢) سورة الأحقاف: آية (٣٠).

(٣) سورة غافر: آية (٥٥).

المرآة الإلهية

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه**».

وفى رواية عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى، فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثله قط، قال: فرفعه الله لى أنظر إليه ما يسألونى عن شىء إلا أنبأتهم به**».

عندما حدث الرسول ﷺ بما رأى من آيات ربه الكبرى ليلة الإسراء والمعراج، أنكر عليه المشركون، وذهبوا مذاهب شتى وطلبوا دلائل على صدق الخبر..

وأول ما يتبادر إلى الذهن التساؤل عن بيت المقدس، ويوجد بينهم من لديه المعرفة بهذا المكان المقدس.. وهم يعلمون أن محمدًا ﷺ لم يذهب إليه من قبل..

لقد طلبوا من الرسول ﷺ أن يصف لهم بيت المقدس ويحدد لهم معالمه، لقد كرب رسول الله ﷺ كربة شديدة لذلك السؤال فإن لحظات عابرة من الزمن اكتنفتها آيات قدسية متعددة حوت الزمان بأجمعه والكون بأسره والملكوت كله تصرف العقل والقلب عن التلفت إلى مبنى أو بناء..

ولكن الله تعالى يؤيد رسوله وينصره نصرًا مؤزرًا..

لقد وقف الرسول ﷺ فى حِجْر الكعبة وهو المكان الذى لم تستطع قريش أن تبنيه عندما كانت تبنى الكعبة فقصرت النفقة فاقتطعت هذا الجزء منها وبقى خارج الكعبة..

وقف الرسول ﷺ يعلن للناس أنه أسرى به الليلة من مكة إلى بيت المقدس وأخذ يجيب عن تساؤلات الناس حول بيت المقدس كأنه ينظر إليه نظر العين القريبة.. فرغم البعد الشاسع من مكة إلى فلسطين فإن الله تعالى طوى الحجب وأزال العوائق وامتد البصر فما سألوا رسول الله ﷺ عن شىء إلا أنبأهم به..

والمسجد الأقصى أو بيت المقدس هو فى الأصل بناء يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام وقد اكتسب يعقوب صنعة البناء من جده إبراهيم الخليل الذى رفع قواعد البيت الحرام بمكة المكرمة مع ولده إسماعيل، وسمى الأقصى لبعده عن الكعبة المشرفة وسمى المَقْدِس أو المُقَدَّس أو القدس لطهارته..

وجاء فى الصحيحين عن أبى ذر قال: قلت يا رسول الله أى مسجد وضع أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت ثم أى: قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة».